

**القراءة المعاصرة للنصوص الدينية
وانعكاساتها على الانحراف الفكري
بين فوضوية التأويل وقداسة التنزيل**

**Contemporary reading of religious
texts and their reflections on
intellectual deviation Between the
chaos of interpretation and the
sanctity of revelation**

أ. د. رعد حميد توفيق البياتي

الجامعة العراقية / كلية العلوم الاسلامية

Prof. Dr. Raad Hamid Tawfiq Al-Bayati

University of Iraq/College of Islamic Sciences

raad.h.tawfeeq@aliraqia.edu.iq

ا.م.د. كمال الدين سعدون المشايخي

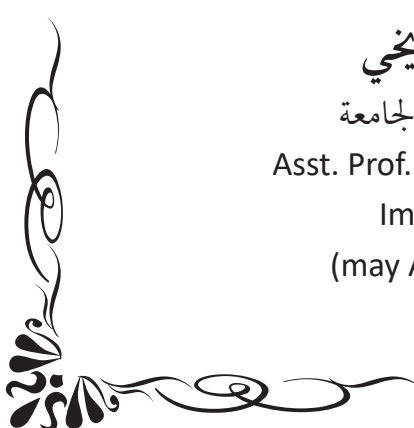
كلية الامام الاعظم ابو حنيفة (رحمه الله) الجامعة

Asst. Prof. Dr. Kamal El-Din Saadoun Al-Mashaykhi

Imam Al-A'zam Abu Hanifa College

(may Allah have mercy on him) University

Asdda7636@gmail.com





المخلص

فإنه لمن الاتزان الفكري وصوابيته وتسديد النظر علميا: التوثب لمطارحة القضايا الشائكة التي تتعدد فيها الآراء وتشعب حولها الرؤى وتباين حولها التوجهات وهو مما يفضي لاحالة الى توجيه الفكر الافضل وانزاله على الداء.

وهنا وددنا المقاربة العلمية الموضوعية التي تتقارب مع موضوع التطرف الفكري وانحرافه وما يستتبعه من مضخمات الارهاب تنزيها عن الشخصية او الميالات التي تزيج الباحث عن صوارم العقل وبديهيات الفكر لتلقي به في متاهات الوجدان والانسياق العاطفي والامر لا يغفله احد بعد ان مست شرارته دولا وشعوبا وابرياء، وبعد تقليبي عيني فكرنا في خطابات التطرف ومستنداته التعبوية وهنا فينا العلماء الاثبات الذي عارضوه واتسموا بالاتزان الفكري وهم يقلبون صفحات النصوص الدينية (قران وسنة) ممسكين عن التجاسر في وسم المخالف بدعوى الكفر او الضلال او الزيغ، ورست لهم قدم السبق في ايضاح المشكل وتنقية الغبار عن التاويلات المؤدلجة، وما مر هو نتاج يعتقده الباحثان للقراءة المعاصرة غير المتزنة للنصوص الدينية وتفسيراتها الهرمنيوطيقا السياسية او الاجتماعية غير المتزنة للفكر العربي المعاصر لان التأويل مفهوم قراني يسهل لهم الوصول للاهداف التي يسعون لتحقيقها بسهولة ودون احداث ضجة ولذلك يتخذ الخطاب هذه الالية كمظلة يارس من خلالها القراءة السطحية والتي لا صلة لها بالمفهوم القراني مطلقا، وهنا يمكن اعتبار التاويلية من المفاهيم التي استغلها الفكر العربي ببشاعة لتبني كثير من المشاريع النهضوية الناقدة للخطاب الديني وتجديده وتنويره وتحديثه، وجميعه يتمحور حسب رغبة المفكر ومقتضى الحال (السياسي او الاقتصادي او الثقافي) لذلك نحن بامس الحاجة لصعود القراءات المعاصرة للنصوص الدينية المقدسة الكتاب والسنة على ميزان العقل والعاطفة وهو منهج القران الخطابي ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم لبيان الاصول والاصلاح.

Abstract

It is part of intellectual balance, soundness and scientific insight to rush to discuss thorny issues in which opinions vary, visions diverge and orientations differ, which inevitably leads to directing the best thought and applying it to the disease. Here we wanted an objective scientific approach that converges with the subject of intellectual extremism and its deviation and what it entails in terms of the amplifiers of terrorism, free from personalization or tendencies that remove the researcher from the swords of reason and the axioms of thought to throw him into the labyrinths of conscience



and emotional drift, and no one ignores the matter after its spark has touched countries, peoples and innocent people. After turning my eyes, we thought about the discourses of extremism and its mobilization documents, and here we found the proven scholars who opposed it and were characterized by intellectual balance as they turned the pages of religious texts (Quran and Sunnah), refraining from daring to label the opponent with the claim of disbelief, misguidance or deviation, and they established a precedent in clarifying the problem and purifying the dust from ideological interpretations. What was mentioned is a product, the researchers believe, of the contemporary unbalanced reading of religious texts and their unbalanced political or social hermeneutical interpretations of contemporary Arab thought because interpretation is a Quranic concept that facilitates for them to reach the goals they seek to achieve easily. Without causing a stir, therefore the discourse takes this mechanism as an umbrella through which it practices superficial reading that has absolutely no connection to the Qur'anic concept. Here, interpretation can be considered one of the concepts that Arab thought has exploited in an ugly way to adopt many renaissance projects that criticize religious discourse, renew, enlighten and modernize it, and all of it revolves around the desire of the thinker and the requirements of the situation (political, economic or cultural). Therefore, we are in dire need of the rise of contemporary readings of the sacred religious texts, the Qur'an and the Sunnah, on the scale of reason and emotion, which is the Qur'an's rhetorical approach and the approach of the Messenger, may God bless him and grant him peace, to clarify and explain what is most correct and best.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم اجمعين.. فانه لمن الاتزان الفكري وصوابيته وتسديد النظر علميا: التوثب لمطارحة القضايا الشائكة التي تتعدد فيها الآراء وتشعب حولها الرؤى وتتباين حولها التوجهات وهو مما يفضي لاحالة الى توجيه الفكر الافضل وانزاله على الداء.

وهنا وددنا المقاربة العلمية الموضوعية التي تتقارب مع موضوع التطرف الفكري وانحرافه وما يستتبعه من مضخمات الارهاب تنزيها عن الشخصية او الميالات التي تزيج الباحث عن صوارم العقل



القراءة المعاصرة للنصوص الدينية وانعكاساتها على الانحراف الفكري بين فوضوية التأويل
وقداسة التنزيل أ.د. رعد حميد توفيق البياتي - أ.م.د. كمال الدين سعدون المشايخي

وبدييات الفكر لتلقي به في متاهات الوجدان والانسياق العاطفي والامر لا يغفله احد بعد ان مست شرارته دولا وشعوبا وابرياء، وبعد تقليبي عيني فكرنا في خطابات التطرف ومستنداته التعبوية وهنا الفينا العلماء الاثبات الذي عارضوه واتسموا بالاتزان الفكري وهم يقلبون صفحات النصوص الدينية (قران وسنة) ممسكين عن التجاسر في وسم المخالف بدعوى الكفر او الضلال او الزيغ، ورست لهم قدم سبق في ايضاح المشكل وتنقية الغبار عن التاويلات المؤدجة، وما مر هو نتاج يعتقده الباحثان للقراءة المعاصرة غير المتزنة للنصوص الدينية وتفسيراتها الهرمنيوطيقا السياسية او الاجتماعية غير المتزنة للفكر العربي المعاصر لان التأويل مفهوم قراني يسهل لهم الوصول للاهداف التي يسعون لتحقيقها بسهولة ودون احداث ضجة ولذلك يتخذ الخطاب هذه الالية كمظلة يمارس من خلالها القراءة السطحية والتي لا صلة لها بالمفهوم القراني مطلقا، وهنا يمكن اعتبار التاويلية من المفاهيم التي استغلها الفكر العربي ببشاعة لتبني كثير من المشاريع النهضوية الناقدة للخطاب الديني وتجديده وتنويره وتحديثه، وجميعه يتمحور حسب رغبة المفكر ومقتضى الحال (السياسي او الاقتصادي او الثقافي) لذلك نحن بامس الحاجة لصعود القراءات المعاصرة للنصوص الدينية المقدسة الكتاب والسنة على ميزان العقل والعاطفة وهو منهج القران الخطابي ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم لبيان الاصول والاصلاح.

لذا فنحن بحاجة الى توازن واتزان في تشخيص المقتضى الخطابي ومدى ملائمة العرض القرآني للحادثة المعاصرة وجميع ذلك وفق ضبط التاويلية اللازمة واتحادها مع التقديس للنصوص ودلالاتها التي يضعها المخاطبين لها.

مشكلة البحث: تنحصر مشكلة البحث بتساؤل رئيس مفاده:

١- هل القراءة المتعمقة للخطاب القراني ومدى اجادة المخاطبين دور واثر في التطرف الفكري ومن ثم الارهاب الممقوت؟

٢- هل الاتاحة غير المقيدة للتاويل وهرمنيوطيقا النص المقدس ذات عوائد ايجابية لترصين الفكر الاسلامي ام اداة لتشتيت الفكر والتجائه لطرف غير الوسط المعتدل؟

٣- الى اي مدى يمتلك العلماء حق اللجوء للتأويل واسقاطه على القران الكريم؟

اهداف البحث: مما تهدف اليه هذه الدراسة هو الوقوف على الاهداف التي نجملها في:

١- العمل على بيان الدوافع والبواعث التي تلجئ الفكر المعاصر لتأويل النصوص المقدسة، هل هو تقحم في المهالك واجترأ على المقدس لمكاسب.



٢- اهرمنيوطيقا التي رفع لوائها الفكر الحداثي في مشاريعه النهضوية هو في الحقيقة اجترار لما لفظته الثقافة الغربية ومحاولة اسقاط هذه المناهج على النصوص الدينية من اجل تعليب الافكار الاسلامية وبما يتواءم مع خطاب الغرب.

٣- الجزم بان الخطاب الديني الاسلامي السياسي خاضع بما لا يقبل الشك للمناهج الغربية بعد تنامي واتاحة الحرية للتأويلية التداولية بين الثقافات والحضارات حتى اضحى مفهوم التأويل القشة التي انقذت الغارقين ببحار البعد عن الله.

الدراسات السابقة: كتب عدد قليل من الدراسات حول التأويل الخاطيء ولكن جميع ما كتب لم يتناول التأويل المعاصر ومخاطره على الغلو والتطرف والانحراف الفكري بوصفه المستند الذي يتكئ عليه دعاة الممانعة والتشدد وتكفير الآخرين، ومن باب الامانة العلمية ساذكر اهم ما اطلعت عليه من هذه الدراسات: ١- أزمة الخطاب الديني في الفكر العربي المعاصر، د. لبصير نور الدين جامعة حسينية بن بوعلي الشلف، الجزائر

٢- اعادة قراءة النص الديني بين أهل التأويل ومناهج المعاصرين، محمد الأمين بله الأمين الحاج معهد، جامعة الجزيرة/ السودان ، مجلة فتوحات، العدد الثاني لعام ٢٠١٥

٣- دور الفهم الخاطيء للآيات وفساد التفكير في التطرف والتكفير، مريم بنت راشد بن صالح التميمي، بحث مشارك في مؤتمر كلية الشريعة جامعة قطر غير منشور (وهو بحث حصلت عليه من زميلتي مريم التميمي اثناء مشاركتي في المؤتمر المذكور في جامعة قطر عام ٢٠١٧) ولكنه لم يتناول التأويل الخاطيء للنصوص بل الفهم لجميع التشريعات الدينية بما فيها الفقهية .

منهجية البحث: ان المنهجية التي سار عليها الباحثان هي المنهج الاستقرائي والتحليلي النقدي لما يراه الباحثان من تاويلات معاصرة تتسم على الدوام بالفوضوية الموجهة الا النزر القليل منها.

خطة البحث: اشتمل البحث على مقدمة وعدة مباحث وخاتمة، وهي كالتالي:

المبحث الاول: القراءة المعاصرة للنصوص الدينية

المبحث الثاني:: الانحراف الفكري نتاج القراءات المعاصرة بين المقدس والمدنس

المبحث الثالث: فوضوية التأويل باعث التطرف الفكري



المبحث الأول القراءة المعاصرة للنصوص الدينية

❖ المطلب الأول: التعريف بعنوانات البحث

١. النص الديني:

النص: تستعمل كلمة «نص» بمعنيين: (١)

أ- اللفظ الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً.

ب- اللفظ مطلقاً؛ أي: بما يحمل من معنى واحد أو أكثر من واحد. والمراد به هنا عند الإضافة: آيات القرآن الكريم وروايات السنة الشريفة، ولا يتعدى منها إلى سواهما من أقوال وفتاوى الفقهاء، إلا بشيء من التسامح في التعبير أو الاتساع في الكلام. (٢) ونخلص إلى أن النص الشرعي: هو الكلام الصادر من المشرع لبيان التشريع. (٣)

المقصود بالنص الديني: مرادنا من هذا الإطلاق «النص الإسلامي» وهو هنا محصور في نصي الوحي القرآن والسنة المطهرة. هذا الكلام الصادر طراً عليه تأويل بهدف الوصول إلى معاني وقراءات للنص تلائم متطلبات الواقع، لم تظفر بها قراءات سابقة، فظهرت مناهج نقدية حديثة في النهضة الفكرية الحديثة حاولت ذلك؛ مما جعله نصاً مفتوحاً على جميع التأويلات، وتتعدد تأويلاته بتعدد قراءاته، فما كان مفهوماً من النص الشرعي في القرن الأول على وجهه، فلا مانع من إعادة تأويله حسب مقتضيات البيئة الثقافية ومتغيرات الحضارة، وعلى ضوء هذا بدأ التشريع لدين جديد في العقائد والأحكام، وإلغاء الفهم السائد للنصوص الدينية. فوقع النص هنا بين تأويلين: أحدهما عند علماء الأصول والتفسير، والآخر لدى الحداثين المعاصرين وما يريدونه منه (٤)؛ ففي حين يعني لدى الأوائل صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى

(١) من ظاهرة التأويل في الفكر العربي المعاصر - دراسة نقدية إسلامية؛ د. خالد السيف، ص ١٣

(٢) هنالك فرق بين المفهوم والمصطلح من حيث المعنى والتعريف، للاستزادة ينظر: المعجم الفلسفي، الجزء الثاني؛ جميل صليبا، ص ٤٠٣، أصول البحث العلمي ومناهجه؛ أحمد بدر، ص ١٩، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر؛ محمد عجاج الخطيب، ص ٩.

(٣) ينظر: في قراءة النص الديني؛ عبد المجيد الشرفي، كمال عمران، المنصف بن عبد الجليل، الباجي القمري، وداد القاضي، ص ٤٢، الخطاب الفلسفي المعاصر من العام إلى الأعم، ص ٣٠٠؛ د. السيد محمد شاهد، فلسفة التوفيق بين الثقافتين العربية والإسلامية والغربية؛ د. فوزية مرجي، ص ٣١.

(٤) إعادة قراءة النص الديني بين أهل التأويل ومناهج المعاصرين، محمد الأمين بله الأمين الحاج معهد، جامعة الجزيرة/ السودان، مجلة فتوحات، العدد الثاني لعام ٢٠١٥، ص ٧٤



يحتمله. فإنه لدى الحداثيين العرب ينحو منحى عميقاً، يطال النص بالكلية، ويصرفه عن وجهته السياسية والتشريعية إلى الوجهة الروحية أحياناً، ويجعل العقل المعاصر حكماً عليه أحياناً أخرى^(١). فيتبين لنا هنا الفرق بين النص والخطاب الديني في الفكر المعاصر، فالنص هو السلطة الخبرية التي تلزم الناس أن يرجعوا إليها، وفي كثير من الأحيان يقصر على القرآن، وأما الخطاب الديني، فهو طرق ووسائل تبليغ المنظومة الدينية، وكيفية التعبير عنها.

٢- القراءة المعاصرة: هي: استخدام رؤية حديثة جديدة في قراءة النص الشرعي، سُميت بذلك؛ كونها تعتمد على سطحية الفهم الانساني للنص الشرعي لتلائم الخطاب الديني المتشكل حسب رغبة الواقع المعاصر والبيئة الفكرية والمكانية والزمانية، تمهيداً لأن يكون في كل عصر قراءة جديدة للنص الشرعي^(٢).

٣- التأويل: التأويل في الفكر الغربي ارتبط في حقبة زمنية بالكتاب المقدس، فلما انفرط عقد الكتاب المقدس، انفرط عقد التأويل، فأصبح لوناً من التسلية أو التفكير الذي لا يرتبط بالنص، كل فكرة جديدة أصبح من الممكن ربطها بالكتاب المقدس مهما كانت مخالفة لتعاليمه؛ وذلك حتى لا تغضب الكنيسة، وثانياً: حتى تروج دينياً وتلقى قبولاً ما، وطبعاً لم يكن ذلك موفقاً دائماً، فكان أغلب المؤولين حاربتهم الكنيسة تحت اسم الهرطقة، فالهرمينوطيقا هي التأويل المنفلت، والذي اعتبرته الكنيسة هرطقة وتجديفاً^(٣) أما في الرؤية الإسلامية فله معنى لغوي وآخر اصطلاحى، فالمعنى اللغوي يعني الرجوع: وآل بمعنى رجوع، فالتأويل بمعناه اللغوي يعني الرجوع والعودة. وهناك معان اصطلاحية للتأويل، فاستخدمه كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال

(١) في حين كان الفقهاء وعلماء الأصول والتفسير، يؤولون لدواع اجتهادية شرعية ولغوية، يحرصون بها على الاقتراب أكثر من مطلوب النص، فإن المحدثين يندفعون في الغالب بدوافع من خارج النص، أفرزتها معطيات الثقافة المعاصرة، وأثرت فيهم عوامل خارجية من قبيل الفجوة الحضارية التي تعاني منها البلاد العربية والهزائم العسكرية التي وُجّت بوقوع كثير من البلاد العربية تحت الاستعمار المباشر، فالتبعية - ما أفضى إلى الاقتراب من مناهج الغرب، والخضوع لها أحياناً، فتعجل مثقفون ومفكرون عرب الحكم على التراث بالسلبية، بل تجاوزوه إلى النصوص، وحتى القطعية منها؛ ينظر: مقال «الحداثة العربية وتأويل نص الإسلام الديني»؛ لعلي بار ويس، اليمن، موقع المسلم.

(٢) ينظر: محمد كالم؛ القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، ص ٥٦-٥٧، نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ص ١١.

(٣) نظرية النص؛ ترجمة محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد ٣/ ١٩٨٣، نظرية التأويل، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، ط ١ / ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٠ م، مدخل إلى الهرمينوطيقا، النظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر؛ د. عادل مصطفى، ص ٤٥، الخطاب العربي المعاصر قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة؛ فادي إسماعيل، ص ٣٧.



المرجوح لدليل يقتزن به، وأيضاً بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٥٣) (١)، وتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد، هو ما أخبر الله به فيه مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك، كما قال تعالى في قصة يوسف لما سجد له أبواه وأخوته، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠) (٢)، فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا (٣)، ويعرف الجويني التأويل: «أنه رد الظاهر إلى ما إليه مآله في دعوى المؤول» (٤)، ومعنى هذا إعطاء معنى يحتمل الظاهر ومعرفة المراد، لكن هذا الخروج عن الظاهر وتركه لا بد من قرائن تدعو إليه وتعضده، وأيضاً لا بد أن لا يخرج التأويل عن معاني اللغة وأن لا يكون ملغزاً أو مبهماً، يؤكد الجويني هذا المعنى. فيذكر ضرورة تقييد التأويل بقواعد اللغة ومراعاة أساليب البلاغة، فيقول: «إنما يسوغ في التأويلات ما يسوغه ويرى عدم حمل الألفاظ على النادر الشاذ» (٥). ونفس المعنى للتأويل وشروطه وضروره تقيده بما تقتضيه اللغة والبلاغة نجده عند ابن رشد حيث يعرف التأويل بأنه إخراج الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز في تسمية الشيء بشبيهه، أو سببه، أو لاحقه، أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عدت في تعريف أصناف الكلام المجازي (٦).

(١) الأعراف: ٥٣

(٢) يوسف: ١٠٠

(٣) إعادة قراءة النص الديني ص ٧٦

(٤) البرهان في اصول الفقه، الجويني، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧، ص ١٩٣.

(٥) التأويل: صرف اللفظ من معناه الظاهر، إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه، موافقاً للكتاب والسنة، ويشترط في التأويل معرفة الأصول ومعرفة الاستنباط من تلك الأصول بالقياس. أنظر بركات محمد مراد: ابن رشد فيلسوفا معاصرا، مصر العربية للنشر والتوزيع القاهرة ٢٠٠٢ ص ١٤٧.

(٦) فصل المقال ص ٧٨.



❖ المطلب الثاني: دواعي التأويل للنص الديني: يكمن اشكال التأويل ودواعيه في عدة أسباب يمكن تلخيصها فيما يلي:

١/ مخرج علمي يناسب العصر. للتخلص من الاتجاهات الحرفية والظاهرية والدوغمائية التي تحاول بعض الجماعات الأصولية اعتناقها والدفاع عنها، محرصة عن مستجدات العصر وتطوراتها العلمية والحضارية من ناحية، وناسية أو متناسية ذلك الأفق المفتوح لسيل المعاني والمفاهيم الإلهية التي يمكن أن يصل إليها فكر المجتهدين والحكماء^(١).

٢/ كثرة الاتجاهات الدينية الجامدة عند ظواهر النصوص.

٣/ التأويل منهج نقدي: ولا ننسى أن مفهوم التأويل الذي يصل إليه ابن رشد ويتوج به فلسفته الدينية والعقلية معاً، لم يصل إليه إلا بفضل حسه النقدي وتأسيسه لمنهج تحليلي نقدي يقوم على العقل.

المطلب الثالث: إفهام الناس للنص الديني في الشريعة الناس تنقسم على ثلاثة أصناف:

١. صنف ليس من أهل التأويل أصلاً، وهم الخطايون الذين هم الجمهور الغالب، وذلك أنه ليس يوجد أحد سليم العقل يعرف هذا النوع من التصديق^(٢).

٢. وصنف هو من أهل التأويل الجذلي، وهؤلاء هم الجدلون بالطبع، أو بالطبع والعادة^(٣).

٣. وصنف هم من أهل التأويل اليقيني، وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة، أي صناعة الحكمة، وهذا التأويل ليس ينبغي أن يصرح به لأهل الجدل فضلاً عن الجمهور. ومن هنا تمكن ابن رشد من الدفاع عن الفلاسفة وآراءهم بكتابة «تهافت التهافت» ضد اتهام الغزالي لهم بالكفر لقولهم بقدم العالم ونفي حشر الأجساد ونفي علم الجزئيات^(٤). ومن هنا يتبين لنا كيف يجعل ابن رشد من التأويل سبيلاً إلى الفهم المنفتح، خاصة حين يكون المجتهد متمكناً من أدواته، باذلاً كل جهده العقلي لاستشراق المعاني الخبيئة، التي يتضمنها النص الديني. هذا التأويل يجعل من النص المقدس نصاً ثرياً وغنياً ومنفتحاً الأفق بما لا يتناهى، بل يجعله مفتوحاً على كل فهم ممكن في المستقبل، خاصة وأن المعاني الإلهية المتضمنة في

(١) إعادة قراءة النص الديني ٧٨.

(٢) ينظر: تأصيل النص لدى لوسيان غولدمان، ص ٤٣، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط ١، ١٩٩٧م، ندوة الحضارة الإسلامية حضارة النص القرآني، المعهد العالي للحضارة الإسلامية ووحدة بحث مقارنة الأديان، تونس، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر؛ سالم يفوت، ص ١١.

(٣) النص: السلطة الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، ص ٩٨.

(٤) إعادة قراءة النص الديني ص ٧٨.



النصوص المقدسة غير محدودة بحدود الزمان أو المكان أو مفاهيم البشر، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١)، ويجب أن نعي أن مصطلح التأويل بقدر ما يظهر مستباحاً فإنه أيضاً - كجزء من عملية الفهم - داخل صلب القراءة المستفهمة عن كنه النص ومعناه الأول الأساس، خاصة وأن ابن رشد يدعو في مؤلفاته الأساسية إلى العودة إلى النص لفهم معانيه. لكن القراءة التأويلية بحد ذاتها تثير من خلال توصيفها اختلافاً بيناً بين مفهومها الإسلامي كما هي عند ابن رشد الذي يمثل التأويل عنده ركيزة أساسية وسبيلاً إلى الاجتهاد وبين مفهومها الغربي، خاصة تلك القراءة التي تتناول النص المقدس. أمام هذا الزخم الفكري الشري، يظهر لنا صدق ابن رشد الذي لا زال قائماً اليوم، ونحن نعيش تنبأته التي كان يخشى حدوثها، خاصة منها ما تعلق بجدل الدين والعقل وما ينتج عنهما من أحكام مستعجلة، التي بسببها اضطرب الناس كل الاضطراب، وحدثت فرق ضالة، وأصناف مختلفة، كل واحد منهم يرى على أنه على الشريعة الأولى، وأن من خالفه إما يبتدع وإما كافر مستباح الدم والمال (٢)، وحسب اعتقادنا ان سبب انجرار العقل من وحي الدين يعد سبب رئيس لنشوء التطرف لاعتقاده بصورة كاملة على اهواء العقل ونتاج تفكيره الذي يقصر في كثير من الاحيان عن ادراك الحقيقة من الوجود والاشياء، لقد وعى ابن رشد جيداً مدى خطورة تعارض الدين مع الفلسفة، بل هي أزمة لا يمكن تجاوزها إلا عن طريق التحليل العقلي الصارم لها وللعوالم التي تتغذى منها، والمتمثلة في كل من الشريعة ومن الحكمة، وفي تعارضهما المزعوم وذلك وصولاً إلى محاصرتها وإلى اجتثاثها نهائياً. بذلك استقطبت كل من الشريعة والحكمة كل مجهود ابن رشد، فتوجه في فصل المقال إلى الفقهاء، وبمناهج الأدلة إلى عامة الناس، وبتهاافت التهافت للفلاسفة وأصحاب البرهان .

(١) الكهف: ١٠٩

(٢) النص: السلطة الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، ص ٩٨



المبحث الثاني

الانحراف الفكري نتاج القراءات المعاصرة بين المقدس والمدنس

المطلب الأول: التأويل بين الفوضوية والتقديس

بداية نقر أنّ الفكر العربي المعاصر، في مقارباته التأويلية المعاصرة للخطابات الدينية، وخاصة النصّ القرآني يجد أنّها سلكت مسلكين في المقاربة والمعالجة التأويلية: المسلك الأول فوضوية في التأويل الممارس على النصّ المقدس والمسلك الثاني التقديس، وهل كان من مهام الفكر العربي المعاصر أن يأخذ على عاتقه كما يحلو لكثير من رموزه أن يسميه (الخروج من السياج الدوغمائي المغلق)، أو الدائرة الأيدولوجية، والذي يزعم بأنّ ترسيخه، وتشغيله، وإعادة إنتاجه إنّما كان من قبل المؤسسات الدينية على مدى قرون طوال^(١). والواقع أنّ التأويلية - كمنهج - ارتبط به الفكر المعاصر، إذ لا يكاد ينفك عنه، لأنّ الحداثة يؤرخ لها بميلاد الحركة التأويلية. ولذلك نرى أدونيس^(٢) يربط بين الحداثة والتأويل، فالحداثة عنده «بدأت سياسياً بتأسيس الدولة الأموية، وبدأت فكرياً بحركة التأويل»^(٣). إن المشاريع التأويلية ظلت في صراع بين المقدس والمدنس كل ذلك أفضى إلى فوضى في قراءة النصوص خاصة الدينية منها، وهو ما يعكس الفوضى التأويلية الذي تعرفه الساحة الثقافية والفكرية من كسر للمتعاليات، ولا مكان لمقدسات، في عملية القراءة والتأويل^(٤)، في ظل هذا الصراع ظهرت الدعوات التي تدعو لنزع القداسة عن القرآن الكريم والتعامل معه من حيث هو نتاج بشري خاضع لعاملي الزمان والمكان وليس هو وحي، وخطاب رباني جاء للهداية البشرية، وإنّ الفكر العربي المعاصر كان ينبغي عليه أن يدرك جيداً خلال ممارساته لعملية التأويل أنّ الأمة الإسلامية والعربية تنتمي إلى حضارة المقدس، والإيمان بالمطلق، وأنّ مشاريع القراءة التأويلية المعاصرة محكوم عليها بالفشل إذا لم تنطلق من خلال الإيمان، والمقدس.

إنّ الخلط المنهجي الذي وقع فيه الفكر العربي المعاصر هو تبنيه لنظريات ومناهج نقدية نشأت في بيئة مغرقة في الإنسية، وتسعى لأنسنة المقدس، وتستبعد كون الوحي مصدراً للمعرفة.

(١) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد: محمد أركون، دار الساقي، ص: ١٢.

(٢) علي أحمد سعيد إسبر المعروف باسمه المستعار أدونيس ١٩٣٠، شاعر سوري. في قرية قصابين التابعة لمدينة جبلة في سوريا. تبنّى اسم أدونيس تيمناً بأسطورة أدونيس الفينيقية الذي خرج به على تقاليد التسمية العربية منذ العام ١٩٤٨. تزوج من الأدبية خالدة سعيد ولهما ابنتان: أرواد ونيانار، موقع الويكيبيديا على الرابط:

<https://ar.wikipedia.org/wiki/>

(٣) الثابت والمتحول، ج ٣، صدمة الحداثة: أدونيس، دار العودة بيروت، ط ٤، ١٩٨٣، ص: ٩.

(٤) أزمة الخطاب الديني في الفكر العربي المعاصر، د. لبصير نور الدين جامعة حسينية بن بوعلي الشلف، الجزائر، ص ٩.

التأويل كمنهج يسعى إلى تفكيك الخطاب القرآني وتعريته من قداسته: ظهر من النقد من ينظر إلى النص القرآني كمنتج ثقافي، أنتجه واقعٌ بشري غير تاريخي في معظم الأحيان، ولذلك تعامل هؤلاء النقاد مع النص القرآني كنص أدبي قابل لفض أسرارهِ اعتماداً على رؤية المؤول الخاصة، وهذا بحسب اعتقادنا هو السبب الرئيس للانحراف الفكري في المجتمعات المسلمة لانقطاع التواصل التوجيهي بين النص المقدس والمتبع له. إنّ التأويلية تسعى لإلغاء المقدسات نهائياً، وكسر المتعاليات، وتنظر للوجود من منظور مادي بحث فتدّس المقدس وتقدس المدنس، وهذا ما يعبرون عنه بانتهاء المتعاليات، وأنسنة المقدس، وأنسنة الوحي وغير ذلك من التعبيرات.

فإذا كانت الدراسات الغربية استطاعت نزع القداسة عن التوراة والإنجيل، فهل يفلح أنصار التيار التأويلي كمحمد أركون وغيره في تفكيك الخطاب القرآني وتعريته من قداسته؟، فيامل هؤلاء أن يتحقق ذلك باعتبار أن التقديس للقرآن كان سبب براعة القرآن في التغطية التاريخية على أراضيته، ولكنه يرى في مكان آخر، أنّ: « التقديس للكتب المقدسة خلع عليها، وأسدل بواسطة عدد من الشعائر، والطقوس، والتلاعبات الفكرية الاستدلالية، ومناهج التفسير المتعلقة بكثير من الظروف المحسوسة المعروفة أو تمكن معرفتها، وأقصد بها الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية ... وهذا التقديس الذي خلع وأسدل قد توضحت أسبابه وبرهن عليها فيما يخص التوراة، والإنجيل، ولكنها لم تحصل حتى الآن فيما يخص القرآن. وحتى يتحقق هذا المقصد صاغوا لنا مجموعة من المصطلحات تطلق على القرآن الكريم من أجل زحزحة المقدس، واستبداله بمفاهيم مدنسة جديدة تقبل النقد، والتحوير، والإسقاط، فأطلقوا على القرآن مجموعة من المصطلحات: رواية، أو مجموعة روايات، أو هو مجرد حكاية من الحكايات، أو ملاحم دراماتيكية الساحر الخارق الخلاب^١، أو المدونة القرآنية، أو المدونة النصية القرآنية، أو المدونة الرسمية، أو النصّ الرسمي القانوني،... وغيرها من المصطلحات.

❖ المطلب الثاني: الخلط بين النص الأدبي والنص الديني

التأويل ارتبط أصلاً بالنص الديني قبل أن يرتبط بالنص الأدبي، لكنه انتقل إلى النصّ الأدبي، ثم أتى الحداثيون العرب ليقبلوا المسألة، ويأخذوه إلى تأويل القرآن، ويدّووا في فوضوية التأويل، والعبث بالنصوص فساداً زاعمين أنه نص كباقي النصوص قابل للتأويل والدراسة كما لو كان كتاباً أرضياً، لو اقتصر الأمر على الدراسات الأدبية فليس هناك إشكال، ولا مشاحة في الاصطلاحات، لكنهم استخدموا هذه المناهج الأدبية بفلسفاتها الأوروبية من دنيوية، وفوضوية، وعبثية، ومادية، وغير ذلك؛ استخدموها في



الخطابات الدينية. يسمون أنفسهم بأصحاب الفكر المستنير أو مفكرو الحداثة أو غيرهم من الذين يتبنون اتجاهات فكرية وعلمانية حديثة ويتأولون النصوص، ومن ثم فلا حرج عليهم في ذلك؛ لأن هذه نزعت عنها القداسة لذلك هم يستخدمونها بأي منهج يريدون، لأن القول بالوهيَّة، و قدسية هذه النصوص - في نظرهم - تجعلها نصوصاً مستغلقة الفهم على الإنسان العادي، ومن هنا نشأ الخلط الواضح بين النص الديني، والنص الأدبي عند نقاد الحداثة. وهذا ما صرح به أركون عندما يقف في وجه القرآن ويتصدى له، فالقرآن يرسخ الأدلة والأسطرة والتقدس،^(١).

المبحث الثالث

فوضوية التأويل باعث التطرف الفكري

هنالك عدة اسباب انحرفت بالعقول والافكار عن سراطها المستقيم وجعلت قارئ النص الديني عرضة للتشتت والانحراف الفكري واحتمالية اتجاهه نحو الغلو والتطرف، ومنها:

١ - نفي المقصد القرآني من تشريعه: لعل من أبرز الثغرات المنهجية التي غفل عنها، أو تغافلها أصحاب القراءات التأويلية للنص القرآني هذا التجريد للنص عن مقصديته العلنية وأهدافه الكبرى، وتغيبه عن غاياته التي تتحدد في الهداية والإرشاد والتزكية والعمران وحفظ الوجود البشري واستدامته، وإخراج البشرية من الظلمات إلى النور يعد من أبرز الإخفاقات التي سقطت فيها هذه المشاريع التي اختارت إبعاد القرآن الكريم عن رسالته ومقاصده. والنزوع نحو التحديث والتجديد والعصرنة...

٢ - تنازع السلطات في عملية التأويل: ترتبط قوة السلطة وهيمنتها بمفهوم التأويل، فالقدسية هيمنة وسيطرة وانقياد، إن امتلكها النص تمتع بها ومارسها على القارئ فأعجزه، وإن اختلفت للقارئ تقدس بها ومارسها على النص.^(٢)

إن العملية التأويلية تقوم على مبدأ التفاعل بين المؤلف، النص، القارئ ويعدّ القارئ هو الحد الوحيد للوصول للنص، كما يقول أوبرتو إيكو، إذ يميز بين مقصدية المؤلف، ومقصدية النص، ومقصدية القارئ، فالعملية التأويلية لا تتم في مقاصد الكاتب، ولكن في مقصدية النص^(٣)

إن أهم ما يميز النص القرآني منذ الأزل، إنَّما هو مرجعيته الربانية، فالله عز وجل هو المرسل للوحي

(١) نقد النص: على حرب، ص: ١٧.

(٢) تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص: حمزة فافل يوسف، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان ١، ٢، المجلد ٢٠٠٨، ص: ٧، ١٤.

(3) U.ECO.lecto .in Fabuia. Tra.bar. Myraim Bouzohar. Grasset et Fasgueiie, Paris 1985, p:58.



إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم رسالة من السماء، فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى يحمل كل صفاته الأزلية، ؟ لماذا يصير أهل الحداثة على إحداث ثورة في الفكر الديني أو في العقل اللاهوتي، سيما في جانبه المقدس، إذا كانت الدراسات الغربية نزعت القداسة عن الكتاب، ودخلت في دائرة الهرمنيوطيقا، ودخلت في الدائرة العريضة لأسباب التأويل، فهل يحق للفكر التنويري نزع القداسة عن القرآن الكريم كما نزعت القداسة عن الكتب السماوية الأخرى... وكيف يسلم هؤلاء بأن فهم الخطاب لا يتم إلا إذا نحينا مقاصد القائل جانبا، وافترضنا أنه غير مقدس؟!

في حين أن المقصد، والغاية من بعثة الرسل والأنبياء والوحي عموماً هو الفهم عن الله عز وجل، وإنزال هذا الفهم تطبيقاً، وعملاً، وسلوكاً على أرض الواقع! .

وفي ظلّ تنازع السلطة بين النصّ، والقارئ الذي هو محور العملية التأويلية للخطاب الديني وجوهرها، إن توازنت توازن التأويل، وإن رجحت كفة النصّ أعجز القارئ وانقاد له، وإن رجحت كفة السلطة للقارئ،^(١) يصبح النصّ قابلاً لتعدد القراءات والاختلافات، ومسلكاً لصناعة تجاربهم، وبث أحكامهم، وأهوائهم، ويصبح النصّ لعبة بيد القارئ، فهو كقارئ للنصّ يغدو منتجاً الأوحد، المنتج لا المستهلك ممّا يغرق النصوص في فوضوية التأويل.

ولذلك أصبحت التأويلية تدعو لعدم الرضوخ لأية سلطة حاكمة للقراءة والتفسير، سوى سلطة القارئ وحرية في تأويل النص.

وفي ظلّ الانفجار المعرفي الذي تشهده الدراسات النقدية المعاصرة؛ خاصة مع ظهور المقاربات المنهجية المختلفة؛ حيث استعان أصحاب المشاريع التأويلية في الفكر العربي المعاصر ببعض هذه المنهجيات النقدية المعاصرة في استنطاق النصّ القرآني؛ دون مراعاة خصوصية الخطاب القرآني؛ فتناسلت المقاربات لدرجة يصعب معها الاهتمام إلى روح النصّ وجوهره؛ ذلك أنّها هزّت أركان المعرفة العلمية بدورانها في فلك الدائرة التأويلية؛ إذ لا توجد ذات قصدية وواعية تكون مرتكزا للعملية التأويلية، ولا توجد موضوعات خارجية مستقاة عن هذه الذات، ولكن كل ما هنالك منظورات متباينة ومتزاحمة...^(٢) وتبقى الممارسة التأويلية المنتجة للمعنى ضرورة معرفية وحضارية، وكل محاولة تسعى لتغيب النصّ،

(١) تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص: حمزة فاضل يوسف، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان ٢٠١، ٢٠٨، المجلد ٢٠٠٨، ٧، ص: ٧.

(٢) مأزق الحداثة: الخطاب الفلسفي لما بعد الحداثة: رفيق عبد السلام بوشلاكة، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية، العدد السادس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ماليزيا، ربيع الآخر ١٤١٧هـ / سبتمبر ١٩٩٦، ص: ١١٨.



وقطعه عن إطاره الروحي، والثقافي والإنساني؛ سيكون مآلها الفشل؛ وهذا قصور في الفهم وعجز عن إدراك حقيقة العملية التأويلية؛ لأنّ: النصّ ممارسة ذات معنى وليس فعلاً مجانياً.^(١)

٣- ما لا نهاية المعنى: التأويلات المتناسلة التي لا نهاية لها تفضي إلى ما لا نهاية المعنى، وذلك لأنّ التقديس اختفى، والبحث عن مقاصده وهم، ولا توجد قراءة بريئة، واللغة نظام من الرموز، والإشارات، فإنّ النهاية لا بد أن تكون «لا نهاية المعنى، كيف يمكن تطبيقها على القرآن؟ إنّ المعاني التي تلحق به ليست منه، وإنّما معاني ألصقتها عدد من القراء بالنصّ، وهذا ما يبحثون عنه لأنّ رفض المعنى النهائي يعتبر نشاطاً ثورياً، لأنّه في النهاية رفض لللاهوت ولأقانيمه ورفض للعقل والعلم والقانون.^(٢)

فاتجاه ما بعد الحداثة يسعى إلى إعادة تعريف الحقيقة وتجريد صفة المطلقية منها بكونها متغيرة، وزعزعة الثقة بها وبأية ثوابت تمتلك صفة الإطلاق «من أجل ذلك سعت حركة ما بعد الحداثة إلى تأصيل النص وانفتاحه، وقدرته على إنكار الحد والحدود؛ ممّا يجعله يقبل التأويل المستمر والتحول الدائم، وبذلك - حسب رأيهم - تتحول النصوص إلى نصوص لا نهائية في نصيتها، ولا محدودية في معانيها؛ مما يقضي إلى تعدد الحقائق، والعوالم بتعدد القراءات»^(٣).

٤- النص المفتوح: يعد من المصطلحات ما بعد الحداثة، وهذا المصطلح يعني أنّ النصّ قابل للتأويل المستمر، والتحول الدائم؛ إذ أنّه يتعدد بتعدد القراء، ولا شك أنّ القراء ليسوا على شاكلة واحدة؛ إذ تختلف طبائعهم، وثقافتهم، ونفسياتهم وأحوالهم، وهم يحملون سائر هذه الأحوال إلى النصّ الذي غدا النظر إليه نسبياً غير موضوعي؛ وبذلك يحمل من المعاني والمضامين ما لم يردّه قائله حتى ليقول فيه من شاء ما شاء، فالقراءة - عندهم - هي خلق جديد للنصّ واكتشاف أبعاد فيه ربما لم تكن مقصودة في نشأته الأولى، وبهذا يتغير معنى النصّ، ويتمّ تأويله حسب الأحوال والفروق والبيئات والحضارات والعصور، وقد ألفت كثير من الكتب التي تناولت النص الديني من هذه الوجهة، ولو اقتصر الأمر على الدراسات الأدبية لقلنا لا مشاحة في الاصطلاح، لكن عندما ينقل هذا التصور عن النصّ المفتوح من المجال الأدبي، والنقدي إلى المجال الفكري، وإلى المجال الفلسفي، وإلى المجال السياسي، وخاصةً إلى المجال الأيديولوجي هنا يكمن الخطر، لأنه يتيح التلاعب بقُدسية النصوص الدينية ومدى تطابقها مع احتياجات المعاصرة، كون النصوص القرآنية والحديثية الثابتة صحتها لها مقصد ثابت ومعنا مستقر لا يمكن أن تتحوّل بناء على مقصدية القارئ واحتياجاته الفكرية،

(1) Julia Kristiva, la revolution du langage ,poinis ,Editions du seuil ,1974, p, 340

(٢) عبد العزيز حمودة || المرايا المحدثه || ص ٣٩٦

(٣) النقد والنقاد المعاصرون: محمد مندور، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ص: ٣٤.



وهذا ما تلاعبت به الفرق المتطرفة وجعلته حجة للتعامل وتكفير الآخرين.

الحق أنّ هذه الرؤية الحداثية التي انتقلت إلينا من الفكر الغربي، وإن بدأت بالنص الأدبي، ثم تحولت إلى النص الديني؛ فإنّها في الفكر الغربي لم تكن نتاج النظريات الأدبية في القرن العشرين؛ وإنّما انطلقت - ومنذ تاريخ طويل - من الدين، حيث نشأت في إطار الجدل الذي ثار حول النظر إلى الإنجيل حينما حطم لوتر النظام القائم، ودعا إلى مسألة تعدد المعاني في الكتاب المقدس، وهذا يعني أنّ كلّ اختلاف في التأويل إنّما هو موجود أصلاً في النص، وبهذا يتحول معنى النص لصالح المعنى الذي عند المتلقي؛ فيترسخ لذلك مبدأ الحرية في التأويل، ويحطم المرجع الواحد الذي تحاكم على أساسه التأويلات وتقام مقامه مرجعيات متعددة بتعدد الذوات المؤولة، وهو ما يسميه تودورف بالعدمية، وهذه العدمية - عنده - تجيء بشكل مباشر من انهيار العقائد المشتركة لكل المجتمع، وبذلك يصبح النص مفتوحاً، وقابلاً لكل التأويلات المتقاربة؛ بل والمتناقضة أيضاً.

أما النص المفتوح وعلاقته بالوحي فيتجلى ذلك في هجوم محمد أركون على نصوص القرآن، حيث يرى أنّ النصوص الدينية ليست سوى نصوص لغوية، ويتبنى القول بشريتها، وينادي بتأويلها تأويلاً مفتوحاً متنوع القراءات بحسب نوعية، وعدد القراء؛ لأنّه يرى أنّ التمسك بحرفية النص، ودلالاته اللغوية يجعل النص مغلقاً، ومن ثمّ ينحصر فهم النص في أقلية مستبدة مسيطرة حسب قوله، ونحواً من هذا الطرح، ومن زاوية تاريخية يدرس أركون نصوص الوحي وفق مفهوم النص المفتوح أيضاً، وضمن منظور الدلالات المفتوحة القابلة للتجدد مع تغير آفاق القراءة، المرتين بتطور الواقع اللغوي والثقافي - حسب كلامهم -^{٢١}.

٥- التعارض بين المعقول والمنقول: من تجاذبات العقل والنقل في التأويلية الحديثة أسبقية العقل على النص ممّا يؤدي إلى تحويل الفهم، والتفسير إلى عملية آلية تحكمها سلطة المنقول، وهو ما يجعلها تتعالى على التاريخ.^{٢٢}

إنّ النصوص في ذاتها لا تمتلك أيّ سلطة اللهم إلا السلطة المعرفية التي يحاول كل نص - بما هو نص - ممارستها في المجال المعرفي الذي ينتمي إليه، وهذه السلطة - أي المعرفية - لا تتحول إلى سلطة ثقافية اجتماعية إلا بفعل الجماعة التي تبني النص، وتحوله إلى إطار مرجعي، وأما السلطة التي تتمتع بها النصوص فيصنّفها عليها العقل الإنساني، ولا تنبع من النص ذاته.

لقد ساد الخلاف طويلاً بين أنصار الاتجاه النقلي، وأنصار الاتجاه العقلي حول مسألة أسبقية الدليل النقلي



على العقلي أو العكس، وقد كان لهذه القضية التي احتدمت منذ وقت مبكر أثرها في التفكير الإسلامي عبر القرون، وبقيت تتنازعها الآراء، وتتضارب حولها الأفكار، واتخذها البعض مطية لإطلاق العنان للعقل، وتحكيمه في تفسير كل آيات القرآن الكريم.

٦- الفهم المؤول للنصوص الدينية:

ان الفهم الخاطئ للآيات بناء على القراءة المعاصرة للمعاني المستقاة من النصوص كانت وما زالت الثغرة التي نفذ من خلالها اعداء الاسلام لتنفيذ مخططاتهم وما يرمون اليه من مكر وكيد ويزداد الالم بها عندما نرى ان الجماعات المتطرفة التي تدعي الانتساب للاسلام هي المتمثلة بهذه الرؤية.

كما ان هذا الفهم المبني على تلك القراءة اصبح واقعا غريبا لاشتماله على الترويج للفكر والفهم الخاطئ بل ان المشكلة والازمة لم تكتف في الوقوف لهذا الحد بل تعدته الى الترويج لهذا الفهم واستجملت الناس بل وقتلتهم وعزرتهم ان لم يؤمنوا به، وكل ذلك جاء بحجة الاستدلال والتأويل والفهم المعاصر وفقه الواقع، ومما يؤسف اليه ان فينا ومنا ممن اسهم وساند هؤلاء بما يكيدون للامة وما يخططون ساندهم بفهمه وتاويله القاصر للآيات فكان السبب بتسلط المجرمين واعداء المسلمين على شعوبنا وارواحنا وعقائدنا. ونستطيع ان نبين اشكالية نشوء التطرف من خلال اسباب التأويل ودوافعه المعاصرة^(١):

١- طبيعة اللغة ومرونتها وتنوع اساليبها في الدلالة على المعاني وجميع ذلك فتح المجال للتعاطي مع التأويل كوسيلة لفهم القرآن والسنة^(٢)

٢- دفع التعارض الظاهري بين الادلة ويقتضي هذا التعارض الظاهري نوعا من الترجيح بينها او التوفيق وهو مما لا يتاقي الا بنوع من التأويل لبعض النصوص

٣- قد يكون التأويل رد فعل لظاهرة المغالاة في التمسك بالظاهر^(٣)

٤- التحرر من النص وحقيقته بغرض التوفيق بينه وبين الراي الذي يحمله المؤول وهو يعد اخطر سبب من الاسباب المغطية للخلاف الفكري والمنهجي والعقدي فيؤول النصوص وفقا لما يمليه الهوى كما حصل للفرق الباطنية وبعض المتطرفين^(٤)

(١) دور الفهم الخاطئ للآيات وفساد التفكير في التطرف والتكفير، مريم بنت راشد بن صالح التميمي، بحث مشارك في مؤتمر كلية الشريعة جامعة قطر غير منشور، ص ١٢.

(٢) ينظر: نهاية الايجار في دراية الايجاز، تحقيق احمد السقا، المكتب الثقافي مصر ١٩٨٩ ص ٨٩-١١٣.

(٣) ينظر: محمد احمد المبيضين، التأويل واثره في الاختلاف العقدي والفقهي ص ٥

(٤) المصدر نفسه



الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
إذ ظلت هذه المناهج مجرد أدوات لتمرير الاختيارات، والتوجهات، والرؤى المذهبية التي يحملها
أصحاب هذه المشاريع مما أساء كثيراً إلى هذه المناهج وغيب حقيقتها وحجب سوء استعمالها والاستفادة
من نتائجها.

إنّ آليات الفهم استهلكها الفكر الغربي وأجهضها، ولكن الخطاب الحداثي العربي ما يزال يجترها على
أنّها المنهجيات الحديثة اللازمة لفهم النص، وتلكم هي الطامة الكبرى .

إنّ مشكلة الفكر العربي المعاصر لم يستوعب أنّ النظريات التأويلية الغربية تعيش في مأزق؛ وعدم
الاستقرار، ولم تكلف نفسها عناء البحث عن النزاعات التي أثّرت تجاه كثير من الأمور المفصلية في النظرية
ذاتها، وأصبحت تثق ثقة عمياء بهذه النظريات كأنّها حقيقة مطلقة دون التنبه للخلفيات الإيديولوجية
والفلسفية التي ترمي هذه النظرية لتحقيقها .

لا نريد للفكر العربي المعاصر في تعاطيه مع التأويلية أن يصبح مرهوناً في أصالته وقدرته على الانفتاح،
والتجدد بتعالقه مع المقولات النقدية الغربية الحديثة، حتى تمنحه البقاء، وتهبه شهادة استمرار الصلاحية.
إنّ القراءة التأويلية الحديثة مارست عملية الإسقاط في مقارنة الخطاب الديني بالمناهج الحديثة.

وهنا لا بد من التنويه الى توصل الباحث الى نتائج عدة:

١. إن منهج فهم النص الديني الإسلامي لدى التيار الحداثي المعاصر منفلتاً من الضوابط المنهجية
الإسلامية الخاصة بتفسير القرآن الكريم وشرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم، واستبدلت بمنهج
لفهم يدعي: «الهرمنوطيقا» وهو منهج غربي قديم، اخترع من أجل فهم وتقريب نصوص الكتاب
المقدس التي واجهت مشكلات عويصة من أجل فهمها لدى المسيحي «أما التفسير الإسلامي فقد جاء
للتعمق والتوضيح في النص القرآني، ولا يزال باستمرار، يكشف آفاقاً من المعرفة.

٢. لقد حاول الحداثيون بمختلف مشاريعهم الفكرية المقترحة من أجل فهم النص الديني أن يضعوا رؤى
وتصورات منهجية لفهم الوحي، بيد أنّ مشاريعهم للفهم لم تساندها أمثلة تطبيقية بالكثرة التي تبعث
على القول بأنّ مشاريعهم النظرية ناجحة. وبناء على هذا فإن المشروعات الفكرية الحديثة في قراءة النص
هي استجابة للتحدي الحضاري الذي فرضه الصدام مع الحضارة الغربية بمقولاتها ومنتجاتها الفكرية
والاجتماعية والسياسية التي تحولت إلى مكون رئيس .



٣. كانت قراءات الحداثيين للنص الديني مجافية للضوابط العلمية المجردة، إذ تتبنى موقفاً نقدياً أو هدمياً من التراث التفسيري ومن مختلف مباحث علوم القرآن، ومن علوم اللسان العربي، لكنها في هذا النقد لا تلتزم بضوابط علمية مقررّة، بل تؤسس هذا النقد على افتراضات مخطئة يتمّ الإلحاح والحرص عليها، وقل الأمر مثله بالنسبة لقراءة التيار الحداثي للسنة النبوية.

٤. إن ابن رشد - الذي - يلجأ إلى هذا المفهوم لتأسيس رؤية عقلية للشريعة من أجل إثراء المعاني والمفاهيم التي لا تنتهي في النص الديني، وإن كان هذا التأويل لا يستطيعه إلا الحكيم أو العالم المجتهد، الذي هو وحده بفضل المنطق والعلم الصحي أعرف بسر التشريع وبمقاصد الشريعة.

٥. مفهوم التأويل يعني اكتشاف حقيقة أخرى، غير تلك الحقيقة التي يتضمنها القول الديني نفسه إما تصريحاً وإما تلميحاً. فهو في جوهره، ربط النتائج بالمقدمات والمقدمات بالنتائج داخل القول الديني نفسه، والبحث عن المعنى المقصود وراء التعبيرات المجازية والأمثلة الحسية، وذلك بشكل يجعل مدلول ما يقرره البرهان العقلي مع القول الديني على وفاق.

٦. لا نعاني من النصوص بقدر ما نعاني من اللصوص.

٧. لما كان الغرض أنسنة المقدس لذلك نرى تحول مصطلح التأويل الذي كان متداولاً في مباحث الخطابات الدينية إلى علم يبحث في آليات الفهم، في جميع النصوص الدينية وغيرها.

٨. التيار التأويلي في نقده للقرآن باعتباره كتاباً مقدساً يكون قد تأثر بحركة الاستشراق، وأعاد أفكارها، ومقولاتها في دعوتها القائلة ببشرية النصّ القرآني .

٩. لم تفلح المناهج الحداثية في تخلص الخطاب الديني من أزمته ووضعيتها الراهنة؟

١٠. وغالباً ما يتسلّل هؤلاء في قراءة النصّ القرآني قراءة حداثية من ثغرة التأويل، لذلك يبقى السجل الفكري اليوم يدور حول «النماذج التفسيرية» و«تقنيات التأويل»، لأنّ المعركة اليوم معركة «تفسير وتأويل» بالدرجة الأولى، تدور حول السؤالين التاليين: كيف نفهم النصّ؟ وكيف نفهم حملة النصّ؟

١١. يبقى التأويل الصخرة العاتية التي اعتمد عليها الفكر التنويري لتكسير وحدة الفكر الإسلامي..



قائمة المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. أزمة الخطاب الديني في الفكر العربي المعاصر، د. لبصير نور الدين جامعة حسية بن بوعلي الشلف، الجزائر
٢. أصول البحث العلمي ومناهجه؛ أحمد بدر
٣. بركات محمد مراد: ابن رشد فيلسوفا معاصرا، مصر العربية للنشر والتوزيع القاهرة ٢٠٠٢
٤. البرهان في اصول الفقه، الجويني، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧
٥. تأصيل النص لدى لوسيان غولدمان
٦. تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص: حمزة فافل يوسف، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان ١، ٢، المجلد ٨، ٢٠٠٨، ٧
٧. الثابت والمتحول صدمة الحداثة: أدونيس، دار العودة بيروت، ط ٤، ١٩٨٣
٨. الحداثة العربية وتأويل نص الإسلام الديني؛ علي بار ويس، اليمن، موقع المسلم.
٩. الخطاب العربي المعاصر قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة؛ فادي إسماعيل
١٠. الخطاب الفلسفي المعاصر من العام إلى الأعم د. السيد محمد شاهد، فلسفة التوفيق بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية؛ د. فوزية مرجي
١١. دور الفهم الخاطئ للآيات وفساد التفكير في التطرف والتكفير، مريم بنت راشد بن صالح التميمي، بحث مشارك في مؤتمر كلية الشريعة جامعة قطر غير منشور
١٢. عادة قراءة النص الديني بين أهل التأويل ومناهج المعاصرين، محمد الأمين بله الأمين الحاج معهد، جامعة الجزيرة/ السودان، مجلة فتوحات، العدد الثاني لعام ٢٠١٥
١٣. فصل المقال، ابن رشد
١٤. الفكر الإسلامي نقد واجتهاد: محمد أركون، دار الساقي
١٥. في قراءة النص الديني؛ عبد المجيد الشرفي، كمال عمران، المنصف بن عبد الجليل، الباجي القمري، ووداد القاضي
١٦. لمحات في المكتبة والبحث والمصادر؛ محمد عجاج الخطيب
١٧. مأزق الحداثة: الخطاب الفلسفي لما بعد الحداثة: رفيق عبد السلام بوشلاكة، مجلة إسلامية المعرفة،



السنة الثانية، العدد السادس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ماليزيا، ربيع الآخر ١٤١٧هـ / سبتمبر ١٩٩٦،

١٨. محمد احمد المبيضين، التأويل واثره في الاختلاف العقدي والفقهية
١٩. محمد كالمو؛ القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، ص ٥٦-٥٧، نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، .
٢٠. مدخل إلى الهرمنيوطيقا، «نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر»؛ د. عادل مصطفى
٢١. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك: الدكتور عبد العزيز حمودة، الكويت، عالم المعرفة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م
٢٢. مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط ١، ١٩٩٧م، ندوة الحضارة الإسلامية حضارة النص القرآني، المعهد العالي للحضارة الإسلامية ووحدة بحث مقارنة الأديان، تونس، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر؛ سالم يفوت
٢٣. من ظاهرة التأويل في الفكر العربي المعاصر - دراسة نقدية إسلامية «؛ د. خالد السيف،
٢٤. موقع الويكيبيديا على الرابط: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
٢٥. النص: السلطة الحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة،
٢٦. نظرية التأويل، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، ط ١ / ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٠ م
٢٧. نظرية النص؛ ترجمة محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد ٣ / ١٩٨٣
٢٨. نقد النص: على حرب
٢٩. النقد والنقاد المعاصرون: محمد مندور، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د.ت
٣٠. نهاية الايجار في دراية الايجاز، تحقيق احمد السقا، المكتب الثقافي مصر ١٩٨٩
٣١. المعجم الفلسفي، الجزء الثاني؛ جميل صليبا، ١٩٧٤

List of Sources and References:

After the Holy Qur'an

1. The Crisis of Religious Discourse in Contemporary Arab Thought, Dr. Labsir Nour Al-Din, Hassiba Ben Bouali University, Chlef, Algeria
2. Principles and Methods of Scientific Research; Ahmed Badr
3. Barakat Muhammad Murad: Ibn Rushd as a Contemporary Philosopher, Misr



Al-Arabiya for Publishing and Distribution, Cairo, 2002

4 .Al-Burhan fi Usul al-Fiqh, Al-Juwayni, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, 1997

5 .The Origins of the Text by Lucien Goldmann

6 .Interpretation of the Qur'an: The Authority of the Reader or the Authority of the Text: Hamza Faqil Yusuf, Al-Qadisiya Journal of Arts and Educational Sciences, Issues 1 and 2, Volume 7, 2008

7 .The Constant and the Changing: The Shock of Modernity: Adonis, Dar Al-Awda, Beirut, 4th ed., 1983

8 .Arab Modernity and the Interpretation of the Religious Text of Islam, by Ali Bar Weiss, Yemen, Muslim Website

9 .Contemporary Arab Discourse: A Critical Reading of the Concepts of Renaissance, Progress, and Modernity, by Fadi Ismail

10 .Contemporary Philosophical Discourse from the General to the More General, by Dr. Al-Sayyid Muhammad Shahid, The Philosophy of Reconciliation between Arab-Islamic and Western Cultures, by Dr. Fawzia Marji

11 .The Role of Misunderstandings of the Verses and Corruption of Thought in Extremism and Takfir, Maryam bint Rashid bin Saleh Al-Tamimi, unpublished research paper presented at the College of Sharia conference, Qatar University

12 .The Habit of Reading Religious Texts among Interpreters and Contemporary Approaches, Muhammad al-Amin Billah al-Amin al-Hajj, Institute, University of Gezira/Sudan, Futuhat Magazine, Issue 2, 2015

13 .Fasl al-Maqal, Ibn Rushd

14 .Islamic Thought: Criticism and Ijtihad: Muhammad Arkoun, Dar al-Saqi

15 .On Reading Religious Texts: Abdul Majeed al-Sharfi, Kamal Imran, al-Munsif bin Abdul Jalil, al-Baji al-Qamrati, and Widad al-Qadi

16 .Glimpses into the Library, Research, and Resources; Muhammad Ajaj Al-Khatib



17. The Dilemma of Modernity: The Philosophical Discourse of Postmodernism: Rafiq Abdul Salam Bushlaka, Islamic Knowledge Magazine, Second Year, Issue Six, International Institute of Islamic Thought, Malaysia, Rabi' al-Akhir 1417 AH/September 1996

18. Muhammad Ahmad Al-Mubaidin, Interpretation and Its Impact on Doctrinal and Jurisprudential Differences

19. Muhammad Kalu, Contemporary Readings of the Holy Qur'an in Light of the Controls of Interpretation, pp. 56-57, We and the Heritage: Contemporary Readings in Our Philosophical Heritage, pp. 56-57, We and the Heritage: Contemporary Readings in Our Philosophical Heritage, 20. Introduction to Hermeneutics, >The Theory of Interpretation from Plato to Gadamer< Dr. Adel Mustafa

21. Convex Mirrors: From Structuralism to Deconstruction: Dr. Abdul Aziz Hamouda, Kuwait, Alam Al-Ma'rifa, 1418 AH / 1998 AD

22. Center for Civilization Development, Aleppo, 1st ed., 1997 AD, Islamic Civilization Symposium: The Civilization of the Qur'anic Text, Higher Institute of Islamic Civilization and Comparative Religions Research Unit, Tunis, New Aspects of Contemporary Philosophical Thought; Salem Yafot

23. From the Phenomenon of Interpretation in Contemporary Arab Thought - An Islamic Critical Study; Dr. Khaled Al-Saif,

24. Wikipedia website at: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

25. The Text: True Authority, Religious Thought Between the Will to Knowledge and the Will to Domination,

26. The Theory of Interpretation, Jeddah Cultural Literary Club, Saudi Arabia, 1st ed. / 1426 AH / 2000 AD

27. Theory of Text; translated by Muhammad Khair Al-Baqaei, Arabs and World Thought Magazine, Issue 3/1983



القراءة المعاصرة للنصوص الدينية وانعكاساتها على الانحراف الفكري بين فوضوية التأويل
وقداسة التنزيل أ.د. رعد حميد توفيق البياتي - أ.م.د. كمال الدين سعدون المشايخي

28 .Text Criticism: Ali Harb

29 .Criticism and Contemporary Critics: Muhammad Mandour, Nahdet Misr Press, Cairo, n.d.

30 .The End of the Lease in the Knowledge of Brevity, edited by Ahmad Al-Saqa, Cultural Office, Egypt, 1989

31 .The Philosophical Dictionary, Part Two; Jamil Saliba

32 .Julia Kristiva, la revolution du langage, poins Editions du seuil, 1974

33.U.ECO.lecto.in Fabuia. Tra. bar. Myraim Bouzoher. Grasset and facial hair, Paris 1985

